لتكن المحبة بلا رياء ضمن الجماعة المسيحيّة ومع الآخرين (روم ١٢: ٩-٢١)

أ. أنطوان عوكر

(٩) «لتكن المحبّة بلا رياء. ابتعدوا عن الشرّ والزموا الخير. (١٠) كونوا وادّين بعضكم بعضاً بالمحبّة الأخويّة، متنافسين في إكرام بعضكم لبعض، (١١) غير متكاسلين في الغيرة، حارّين بالروح، عابدين الربّ، (١٢) في الرجاء فرحين، في الشدّة صابرين، على الصلاة مواظبين، (١٣)، في احتياجات القدّيسين مشاركين، إلى ضيافة الغرباء مُبادرين. (١٤) باركوا مضطهِديكم، باركوا ولا تلعنوا. (١٥) إفرحوا مع الفرحين، أبكوا مع الباكين، (١٦). ليكن عندكم اهتمام بعضكم ببعض؛ لا تهتمّوا في المعالي، بل ميلوا إلى الوضعاء. لا تكونوا عقلاء عند أنفسكم» (١٧) لا تبادلوا أحداً شرّاً بشرّ. واحرصوا على أن تعملوا الصالحات تُجاه جميع الناس. (١٨) إن أمكن، فبحسب طاقتكم، سالموا جميع الناس. (١٩) لا تنتقموا لأنفسكم، أيّها الأحبّاء، بل أعطوا مكاناً للغضب، فإنّه مكتوب: "لي الانتقام، أنا سأُجازي يقول الربّ". (٢٠) ولكن "إذا جاع عدوّك فأطعمه، وإذا عطش فاسقه، إن فعلت هذا تركم جمر نار على رأسه". (٢١) "لا تُغلب بالشرّ، بل اغلب بالخير الشرّ».

مقدّمة

يتّضح لكلّ قارئ أنّ الفصول الأحد عشر الأولى من الرسالة إلى أهل روما هي فصول لاهوتيّة، نظريّة، عقائديّة، في حين أنّ باقي الفصول أخلاقيّة، تطبيقيّة، عمليّة. مفهوم بولس للانجيل، لبرّ اللّه، لغضب اللّه، للتبرير، للايمان، للخلاص، للنعمة، للشريعة، للخطيئة، لعمل الروح القدس، لعمل اللّه بالمسيح، لواقع شعب العهد القديم ودوره تُجاه الأمم نجده في الفصول ١-١١. أمّا نظرته إلى الحياة المسيحيّة وإلى الحياة الجماعيّة وإلى العلاقة المؤمن بسائر الناس، فنستخلصها من الفصول ١٢-١٥. تُعطي هذه البنية فكرة جوهريّة واضحة للاهوت بولس، إن العقائدي أو الأخلاقيّ: الحقائق الايمانيّة تُشكّل أساس كلّ سلوك مسيحي. لذلك، كلّ ما سنقوله عن توجيهات بولس الأخلاقيّة يرتكز على الحقائق اللاّهوتيّة وتحديداً الكريستولوجيّة.

يندرج النصّ الذي يستوقفنا (روم ١٢: ٩-٢١) في الفصول «الأخلاقيّة» أو «السلوكيّة» إن صحّ التعبير. سوف نضعه أوّلاً في إطاره الكتابي، ثمّ نتوقّف على بنيته الأدبيّة، ونستخلص أخيراً توجيهات بولس الأساسيّة الواردة فيه.

١ - موقع النص في الرسالة

يُشكّل القسم ١٢: ١-١٥: ١٣ إطاراً واسعاً للنص الذي ندرسه (١٢: ٩-٢١). يبدأ هذا القسم بتحريض من بولس («إنّي أناشدكم»)، فيُعطي هذا القسم طابعه التوجيهي لحياة متجدّدة. ينتهي هذا القسم في ١٥: ١٣، لأنّ الآية التي تليها ترسم خطّاً جديداً لنهاية الرسالة (يقين بولس، أمانيه، تحيّاته).

تركّز الآيتان اللّتان هما بمثابة افتتاحيّة القسم بأكمله، على العبادة الروحيّة وعلى التجديد الداخلي الذي يُظهر للمؤمن «مشيئة اللّه»، أي «ما هو صالح وما هو مرضي وما هو كامل» (١٢: ٢).

يُعدّد المقطع الأوّل من هذا القسم (١٢: ٣-٨) المواهب المختلفة التي تتحلّى بها الجماعة الواحدة في المسيح. تظهر المحبّة في نهاية هذا التعداد (١٢: ٩)

كأساس لكلّ المواهب وكمصدر للحياة الجماعيّة المرضيّة للّه وللحياة الشخصيّة الكاملة. يأتي نصّنا كعرض لمتطلّبات هذه الحياة المزدوجة (جماعيّة وشخصيّة)، ويُستكمل بالعلاقة مع السلطات (١٣:١-٧).

«المحبّة» التي تفتح نصّنا وتوجّهه تتكرّر في الآيات ١٣:٨-١٠. المحبّة هي كمال الشريعة. إنّها الدَين الوحيد الذي يطلبه الرسول. دَين متواصل حتى الساعة الأخيرة، ساعة التنبّه من النوم (١٣:١١-١٤). فنصّنا إذاً (مع العلاقة بالسلطات) محصور بالمحبّة: المحبّة المطلوبة والمحبّة التي تبقى ديناً نهويّاً.

٢ - بنية النص الأدبيّة

بعد مقدّمة وخاتمة، يمكننا أن نُقسّم التوجيهات الواردة في ١٢:٩-٢١ بحسب «الأشخاص» الذين يدخلون بعلاقة مع المؤمن:

آ ٩ : مقدّمة التوجيهات (المحبّة؛ تناقض: خير-شرّ).

آ ١٠: الحياة في الجماعة المسيحيّة (المحبّة الأخويّة).

آ ١١-١٢ : الحياة الشخصيّة والعلاقة مع الربّ (صلاة، رجاء، صبر).

آ ١٣ : الحياة في الجماعة المسيحيّة (حياة شراكة).

آ ١٤ : الحياة مع مَن هم في خارج الجماعة المسيحيّة (عدم مبادلة الاضطهاد).

آ ١٥-١٦ : الحياة في الجماعة المسيحيّة (حياة شراكة).

آ ١٧-٢٠ : الحياة مع مَن هم في خارج الجماعة المسيحيّة (عدم مبادلة الشرّ).

آ ٢١ : خاتمة التوجيهات (تناقض: خير-شر).

٣ - توجيهات بولس الأساسيّة في النص

تُبرز بُنية النص الأدبيّة الخطوط الكبرى التي تتوزّع عليها توجيهات بولس السلوكيّة: خطّ علاقة المؤمن مع بقيّة الجماعة المسيحيّة، خط علاقته مع نفسه ومع الربّ، خطّ علاقته مع الذين لا ينتمون إلى الجماعة المسيحيّة. عنوان النص واضح: «لتكن المحبّة بلا رياء». يعطي بولس المحبّة بُعداً أخلاقيّاً من خلال استعمال التعبيرين الأساسيّين لكلّ سلوك مستقيم: الابتعاد عن الشرّ والالتصاق بالخير. وبتوجيهاته التي تشمل كلّ علاقات المؤمن، حاول بولس إعطاء أمثلة عمليّة على عمل الخير وتجنّب الشرّ (رج مقدّمة النص وخاتمته). من جهة أخرى، تأتي توجيهات بولس لتشمل الانسان بكلّ أبعاده النفسيّة والجسديّة، والتي تشكّل وحدة متكاملة.

أ - العلاقات ضمن الجماعة المسيحيّة (آ ١٠ و١٣ و١٥ و١٦)

توجّه هذه العلاقات كلمة واحدة: المحبّة الأخويّة «فيلادلفيا»؛ تتوازى هذه الكلمة مع «المشاركة» أو «المبادلة». تتجسّد المحبّة الأخويّة بعدّة طرق، منها: الاكرام المتبادل، المشاركة في كلّ الاحتياجات، المشاركة في كلّ الحالات النفسيّة (الفرح، البكاء)، الاهتمام المتبادل. نلاحظ أيضاً في هذه الآيات التوجيهيّة التركيز على عبارة «بعضكم بعضاً» (ثلاث مرّات)، تعبيراً عن المشاركة المطلوبة. لكنّ توجيهات بولس في إطار العلاقة ضمن الجماعة المسيحيّة ليست كلّها على مستوى المشاركة. هناك دعوة إلى «قلب المقاييس» من خلال جملة النفي الوحيدة التي ترد في هذه الآيات: «لا تهتمّوا في المعالي، بل ميلوا إلى الوضعاء». إنّه الخيار المسيحي الصحيح.

ب - العلاقات مع الشخص نفسه ومع الربّ (آ ١١-١٢)

تتمحور هذه العلاقة حول نقطة مزدوجة: العبادة والثبات. ففي علاقة المؤمن بربّه هناك دعوة للاجتهاد في التقوى والصلاة والعبادة. هذه العلاقة «العموديّة» هي في أساس سائر التوجيهات الأخلاقيّة، حتى تلك التي تتعلّق بالشخص نفسه. فالمناعة الروحية التي يكتسبها المؤمن تمكّنه من الثبات في الرجاء بالرغم من كلّ الصعوبات. أمام هذه الدعوة إلى المواظبة والثبات هناك توجيه سلبي في إطار هذه العلاقة الشخصيّة نجده في نهاية آ ١٦: «لا تكونوا عقلاء عند أنفسكم». معنى ذلك أنّ بولس يوجّه المؤمن إلى المصدر الأساسي لكلّ حكمة وفهم. إنّها دعوة لاكتساب أفكار الربّ.

ج - العلاقات مع غير المسيحيّين (آ ١٤ و١٧-٢٠)

تتلخّص توجيهات بولس في إطار العلاقات مع «جميع الناس» بالسعي إلى عمل الصالحات تُجاههم وعيش السلام معهم: «باركوا مضطهديكم... احرصوا على أن تعملوا الصالحات... سالموا جميع الناس...». وما جُمل النفي الثلاث الواردة في هذه الآيات إلاّ حثّ على هذه «المسالمة»: «لا تلعنوا... لا تبادلوا أحداً شرّاً بشرّ... لا تنتقموا

Voir *Ravenna Felix*, Longo Editore, 1982, p. 24.

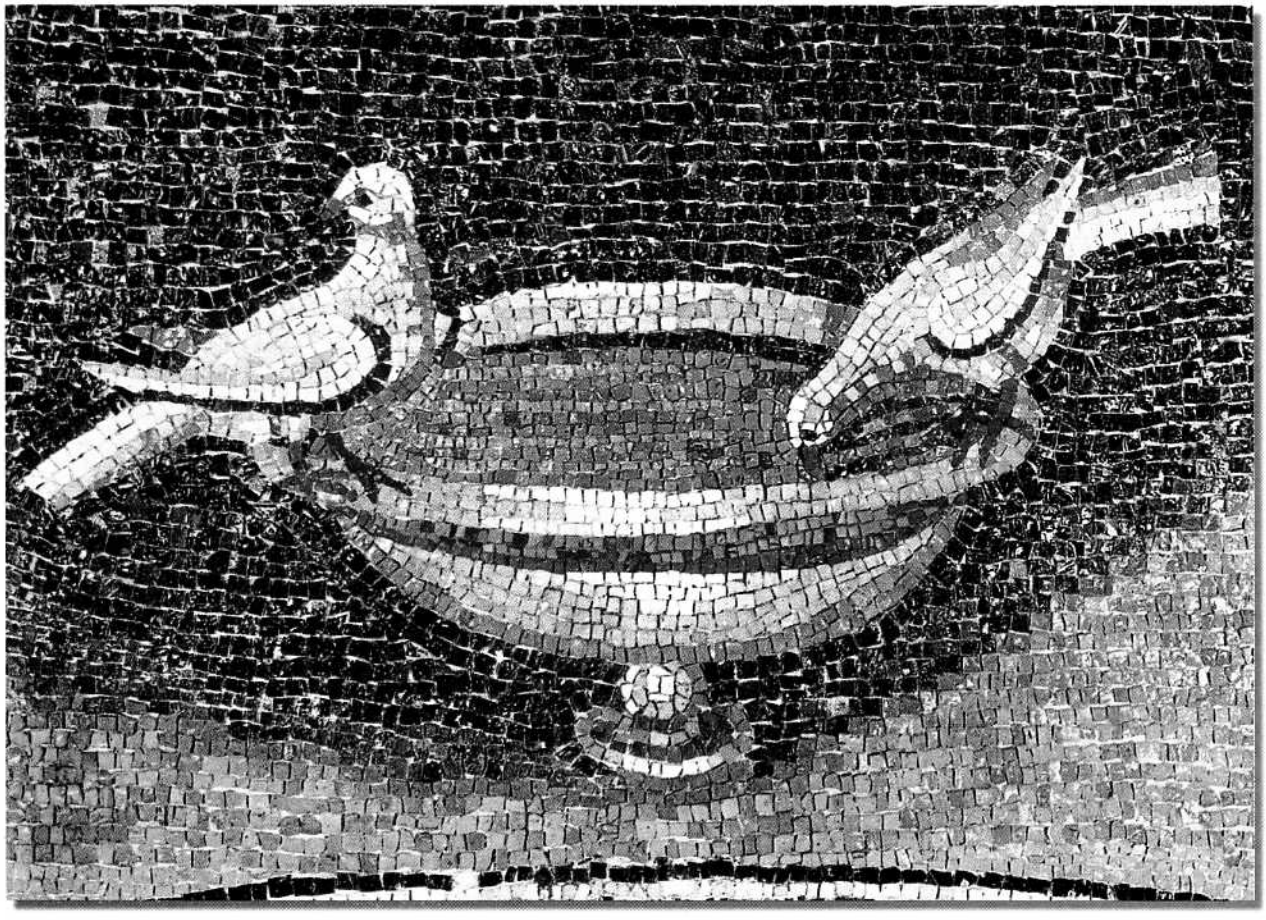

ترتوي الجماعة المسيحيّة من الينبوع الواحد، معطي ماء الحياة، يسوع المسيح،
لذا فهي تحيا بالمحبّة، وتنعم بالسلام
(Mausoleo di Galla Placidia, Ravenna)

لأنفسكم...». والجدير بالذكر أنّ هذه «المسالمة» ليست «استسلاماً» ولا «خنوعاً»؛ إنّها «تسليم» مطلق لمشيئة الربّ. ويستدرك بولس مباشرة هذا «التسليم الربّاني» بالتذكير أنّ مشيئة اللّه تتماشى مع «عدله الغضوب» الذي يحقّ له وحده المجازاة والانتقام. مسالمة المؤمن لعدوّه (في جوعه وفي عطشه) هي تكديس لجمر لاهب على هامته؛ لماذا؟ لأنّ المؤمن لم ينتقم لنفسه، بل ترك ذلك للذي قال: «أنا سأُجازي».

خاتمة

تندرج توجيهات بولس التي ترد في نصّنا في إطار جعل «المحبّة بلا رياء». في الواقع، ليست هذه التوجيهات إلاّ تطبيقاً عملياً لهذه الضرورة: كمال المحبّة التي هي كمال الشريعة. لقد طاولت هذه التوجيهات كلّ شبكة اتّصالات المؤمن الموسّعة مع نفسه ومع ربّه ومع «القدّيسين والغرباء» ومع «جميع الناس». يستكمل النصّ الذي يتبع نصّنا علاقة المؤمن مع فئة معيّنة من «جميع الناس» وهم أصحاب السلطات، في حين يستعرض الفصلان ١٤-١٥ العلاقات الداخليّة في الجماعة المسيحيّة، وذلك في إطار المحبّة بين فئة «الأقوياء» وفئة «الضعفاء».